مجلة قضايا تاريخية

المجلد 06 العدد 02 تاريخ الصدور : 2021/10/02

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

دور اليهود والأسرى والموريسكيين
في تنشيط التفاعل بين المغرب السعدي والغرب الأوربي
The role of Jews, prisoners, and Moriscos
in animating the interaction between the Morocco Saadi and the Western Europe

د. زين العابدين زريوح
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة ابن طفيل، القنيطرة/المغرب

الملخص: يهدف هذا البحث إلى إلقاء الضوء على العناصر الاجتماعية والثقافية التي لعبت دورا مهما في تبادل مجموعة من المعارف والتقنيات والعادات ما بين المغرب وأوربا الغربية خلال حكم الدولة السعدية للبلاد، انطلاقا من مطلع القرن 16م إلى غاية بداية النصف الثاني من القرن 17م، وفي طليعتها اليهود والأسرى والموريسكيون. وذلك في وقت بدأت فيه حدة التداخلات ما بين الطرفين تتزايد في ظل بداية بروز التفوق الأوربي وتصاعد الهجمة الإيبيرية. إذ يأتي هذا البحث وفق منهج يرتكز على الجانب الاجتماعي من مسألة التفاعل بين الجانبين بدل التطرق لها بطريقة تقليدية تقوم على السردية والعمومية. وهو ما يتجلى في التعرف على الأدوار التاريخية لهذه العناصر في مختلف التفاعلات ما بين ضفتي المتوسط خلال هذه المرحلة، والوقوف على مدى مساهمتها فيها ونوعية هذه المساهمات.

الكلمات المفتاحية: المغرب، الدولة السعدية، أوربا، اليهود، الأسرى، الموريسكيون.

Abstract:

This research aims at shedding light on the social and cultural elements that played an important role in exchange of a range of knowledges, techniques and customs between Morocco and Western Europe during the rule of The Saadian state from the beginning of the 16th century until the beginning of the second half of the 17th century, in the forefront: the Jews, the prisoners and the Moriscos. This research comes in a method that focuses on the social aspect of the issue of interaction between the two sides instead of addressing them in a traditional way based on narrative and generalization. Which is reflected in the recognition of historical roles of this elements in the various exchanges between the two shores during this stage and to determine the extent of their contribution.

Keywords: Morocco; Saadian state; Europe; Jews; Prisoners; Moriscos.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

مقدمة:

كان لعدة عناصر ومجموعات ثقافية وعرقية أدوار خاصة في إحداث تفاعلات مختلفة وربط صلات متعددة بين الجانب المغربي والغرب الأوربي خلال الفترة الحديثة، وعلى رأس هذه العناصر اليهود والأسرى والموريسكيون الذين ساهموا بشكل بارز في تنشيط المبادلات التجارية والثقافية ونقل الخبرات الصناعية والزراعية خلال هذه الحقبة التي شهدت تحولات عميقة في العلاقات ما بين ضفتي المتوسط، وتحديدا إبان الحكم السعدي للمغرب 1510-1659م. هذه التحولات التي أدت إلى تسريع وتكثيف وثيرة التفاعل بين الجانبين، نتيجة التأثير على وضعية هذه الفئات التي اضطرت لهجرات جماعية من شمال ضفة المتوسط إلى جنوبه على غرار اليهود والموريسكيين، أو للاستقرار بشكل مؤقت أو دائم كما هو الحال بالنسبة للأسرى الذين تزايدت أعدادهم ومن كل الطبقات الاجتماعية في خضم تصاعد الهجمة الأوربية على المغرب وتفاقم أعمال الجهاد البحري.

إذن أين تجلت مساهمة كل فئة من هذه الفئات في تنشيط التفاعل وتبادل التأثير بين الجانبين خلال الفترة السعدية؟ وما هي النتائج المترتبة عن هذه المساهمة؟

1- اليهود

مثل اليهود جسرا وحمولة للتبادل الثقافي والتجاري داخل المتوسط بين حضارات ومجالات متنوعة من جهة والمغرب من جهة أخرى على امتداد تاريخ البلاد. إذ يعود استقرار العنصر اليهودي بالمغرب إلى عهود سحيقة قادمين من فلسطين، ثم من الأندلس بعد فتحها[1]. وتزايد عددهم بعد سقوط غرناطة فرارا من قسوة محاكم التفتيش التي اضطهدتهم إلى جانب المسلمين، والتي عملت كذلك على متابعة اليهود المتنصرين الذين رأت فيهم جماعة من المنافقين والانتهازين الذين يشكلون خطرا على إسبانيا الكاثوليكية، لتتم ملاحقتهم إلى جانب من بقي على دينه منهم بشتى أنواع التضييق والتعذيب ولاسيما حرق الآلاف منهم خلال هذه الحملات، حيث اتجهت أعداد كبيرة منهم ما بين القرنين 15 و16م إلى جانب الموريسكيين في موجات للهجرة نحو الضفة الجنوبية من حوض المتوسط[2]، وكان المغرب في مقدمة هذه الوجهات بفعل القرب الجغرافي من شبه الجزيرة الإيبيرية، بحيث استضاف جل هؤلاء اليهود المطرودين إما بشكل مباشر انطلاقا من إسبانيا أو عبر البرتغال[3]، منتشرين بذلك على عهد السعديين -الذي شهد أضخم هجرات يهودية في تاريخ البلاد- في مختلف مدن ومناطق المغرب من أقصى الشمال إلى تخوم الصحراء[4].إذ يعود أصل أغلبية يهود المدن الكبرى مثل فاس خلال هذه الفترة إلى عمليات الفرار أو الطرد الذي مارسه الكاثوليك الإسبان[5]، مثلما يرجح أيضا—حسب مجموعة من القرائن- أن يكون أصل معظم من تواجد منهم بمناطق العمق المغربي إلى هذه الهجرات المتأخرة[6]، كما تشير ألقاب العديد من أشهر العائلات اليهودية المغربية إلى أصولها الإسبانية[7].

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

وقد استقروا على وجه الخصوص بالعاصمتين فاس ومراكش، بفعل الفرص الاقتصادية التي توفرت لهم على مستوى الصناعة والتجارة، ولرغبة الحكام في الفوائد التي يمكن أن تجنى بواسطتهم[8]، كما استوطنوا أيضا في المراكز التجارية على طول الطرق التي تربط المغرب بالسودان[9]. ورغم أن دورهم الاقتصادي بدأ بالبروز منذ بداية ضعف الدولة المرينية، إلا أنه تضاعف وتوطد خلال العهد السعدي، حتى أضحوا –بفعل ما اكتسبوه من خبرات على الضفة الأخرى والأعداد الهائلة للمهاجرين– يسيطرون على تجارة البلاد من خلال شبكة من التجار اليهود الممتدة من الشمال وخاصة من فاس مرورا بيهود واحات سوس وصولا إلى السودان[10].

تميز المهاجرون اليهود(Megorashim) –القادمون من شبه الجزيرة الإيبيرية على وجه الخصوص– بالغنى والثقافة العالية في مقابل اليهود الأصليين أو البلديين(Toshabim) الذين كانوا في معظمهم من البسطاء وأضحوا يشكلون أقلية، مما أحدث وقعا كبيرا داخل كل الأوساط المغربية على مختلف الأصعدة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية[11]، بعدما ساهموا في الرفع من أعداد يهود المغرب حتى أضحى بمراكش على –سبيل المثال– ملاحان يضمان أزيد من ألف يهودي[12]، ومثل ذلك بتارودانت[13]، وما ينيف على عشرة آلاف بفاس الجديد[14].

فقد برع هؤلاء في تخصصات حيوية وذات تأثير مهم كالتجارة والصناعة[15] والطب[16] والترجمة[17] والسفارة والوساطة الدولية بكل أشكالها[18] وتدبير الأموال والممتلكات[19] وغيرها من المجالات. مما دفع السعديين على امتداد حكم أمرائهم إلى الاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم المتنوعة والفريدة التي جلبوها معهم من الضفة الشمالية للمتوسط. فبسبب حسن التصرف والذكاء الكبير الذي تميز به اليهود الأوربيين –تحديدا– في تدبير مختلف الشؤون[20]، وأهمية مهاراتهم لدى المخزن السعدي فإنهم لاقوا عطفا وحماية واسعة وعناية خاصة منه[21]، دون إيلاء أي اعتبار لتحسس عدد من الأوساط الدينية والشعبية من ذلك[22]. لأن تعامل السلاطين معهم يرجع إلى الرغبة في رعاية مصلحتهم، والاستفادة من تفوقهم في تدبير الثروات[23]. إذ رأى السعديون في هؤلاء اليهود عناصر فعالة ومفيدة وغير خطيرة ما دامت مستبعدة من المنافسة على السلطة السياسية[24]، لأن وضعهم كمحميين أهلهم للاضطلاع بمهمات الثقة، والحديث معهم أو أمامهم بكل حرية على اعتبار هوان قدرهم، حتى أصبح السلاطين السعديون يثقون في اليهود أكثر من أكبر قائد عندهم[25]. فكان يتم اللجوء إليهم في مجال الوساطات الدبلوماسية، والوساطات التجارية التي شكلت عنصرا أساسا في رواج المبادلات والازدهار الاقتصادي[26]، بفعل انتماء عدد مهم من اليهود المهاجرين لعائلات مثقفة ذات أصول إسبانية وبرتغالية، وإتقانهم للغات متعددة واطلاعهم على الإدارة وأعراف المحاكم الأوربية[27]، وهذا ما كان يجعل أيضا التجار الأوربيين يقصدون اليهود المهاجرين بشكل خاص[28]، إلى جانب نشاطهم في تبادل الأسرى المسيحيين الذي مكنهم من تعزيز الروابط بالأوربيين[29].

وانطلاقا من ذلك، ساهم اليهود المهاجرون في الانتعاش الاقتصادي للدولة السعدية الناشئة في الجنوب[30]. واستمر ذلك الانتعاش بفضل نقل هؤلاء تقنيات تجارية جديدة مكنت من تطوير الأنشطة الاقتصادية ووفروا لاقتصاد البلاد شبكة تجارية دولية واسعة[31]. فقد شرع اليهود المهاجرون في تقديم خدماتهم الطارئة على الساحة المغربية للأمراء السعديين منذ عهد أحمد الأعرج(1517–1540م) الذي كان في خدمته ترجمان يدعى "يوسف ليفي"[32]. كما تمت الاستعانة بهم في

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

بناء صناعة السكر التي شكلت أحد ركائز الاقتصاد السعدي، حيث التجأ محمد الشيخ المهدي(1540-1557م) إلى يهودي مهتد لإنشاء مطاحن جديدة للسكر على واد سوس، مما ساهم في توسيع هذه الصناعة وتطوير إنتاجها[33]، واستغل خدمات وخبرة تاجر يهودي آخر في نجاح حصاره للوطاسيين بفاس[34]. ولعل تميز هؤلاء بمهارات الغرب الأوربي ما جعل السلاطين السعديون يقدمون على تشجيع هجرة اليهود المتخفين في شبه الجزيرة الإيبيرية نحو المغرب مع دخول محمد الشيخ إلى فاس سنة 1549م[35]. هذا الأخير الذي قرب بعضهم منه، مثل "أبرهام كابيصا" الذي لم يكن يفارقه، واستخدمه – بحكم إتقان اللغات الإيبيرية– في التنسيق مع حاكم "مازگان(البريجة)" من أجل طلب المساعدة في مواجهة الأتراك، إلى جانب "سليمان بن زميرو" الذي أرسله في مهمة مماثلة إلى البرتغال[36]، كما يذكر مارمول كاربخال تواجد طبيب يهودي في خدمة هذا السلطان[37].

وقد تبلورت قنوات الاتصال بين يهود الداخل المغربي وإخوانهم بالخارج ولا سيما بأوربا الغربية على عهد عبد الله الغالب(1557-1574م)، حتى أن باخرة إنجليزية حملت نحو المغرب 26 صندوقا تضم نسخا من التوراة[38]. وقد نشطوا خلال هذه الفترة كذلك بشكل كبير في مجال الصياغة ومختلف الصناعات التقليدية والتجارة، بما فيها التجارة غير المشروعة[39]، إذ منحهم السلطان الغالب دارا للصناعة في فاس الجديد، والتي كانت عبارة عن فندق كبير، أقاموا فيها دكاكين للصياغة[40]. كما اكتسب بعضهم ثروات هائلة من خلال تدبير ممتلكات هذا السلطان وممتلكات أبنائه وعماله بفضل المنافع التي حققوها نتيجة ذلك[41]، حيث كان لكل واحد من فئة الخاصة مقتصد يهودي[42]، وشارك السلطان كذلك عددا منهم في طواحين السكر وأمدهم بالأسرى للعمل فيها[43]. بل وسمح لليهود بولوج قصره والخدمة فيه، حتى داخل مقاصير النساء[44]، كما اشتغلوا داخل دور القواد والعمال[45]. وتزايدت على عهده شهرة أسرة "آل زمّيرو" التي يعتقد أن أصولها تعود إلى غرناطة أو البرتغال، وعلى رأسهم "سليمان بن زميرو" الذي كان يقوم بزيارات دائمة نحو البرتغال وإسبانيا وكان على علاقة بأمرائهما[46]. وكان اليهودي "الكاسي موسى" –خلال فترة حكمه– مشرفا على خزائن تارودانت[47].

كما أن الطبيب الخاص لعبد الملك المعتصم(1576-1578م) كان يهوديا، وكان حريصا على حياته[48]، ولعب دورا مهما في التستر على موته خلال معركة وادي المخازن[49]. إذ عبر اليهود المهاجرون إلى جانب "البلديين" عن مساندتهم للسعديين ضد البرتغاليين وحلفائهم في هذه المعركة، خوفا من الخضوع مرة أخرى للاضطهاد الكاثوليكي الذي عانوا منه في أوربا، حيث جعلوا من ذكرى المعركة عيدا أسموه "بوريم" شكرا لله على تخليصهم من عبودية النصارى[50]، وذلك تأسيا بذكرى نجاة أجدادهم من الفراعنة بمصر[51]. على الرغم من أن بعضهم عملوا أحيانا أخرى كجواسيس لصالح حكام الثغور المستعمرة[52] أو لصالح القوى الأوربية مثل إسبانيا[53]. بل منهم من تورط في السابق مع الاحتلال البرتغالي في قهر واستغلال المغاربة[54]، وقتال السعديين إلى جانب هذا الاحتلال، مثل بعض أفراد "آل زميرو" السالفة الذكر كإسماعيل وإسحاق بن زمرو[55] والحاخام "إبراهيم بن زميرو"[56]، و آخرين كالجاسوس "ليفي مايل"[57].

وتزايدت أهمية اليهود المهاجرين وتألقهم إبان حكم المنصور الذهبي، الذي كان بلاطه مفتوحا أمام هؤلاء وكثير الاتصال بهم نظرا لاستعانته الكبيرة بخبراتهم، حتى أثار ذلك انتقادات عديدة من قبل الفقهاء[58]. فقد أولى لعدد منهم تدبير

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

مجموعة من الشؤون والمسائل الحساسة مثل الترجمة وافتداء الأسرى والوساطة مع أوربا[59]، مثل التاجر "يعقوب روت" الذي كان يعمل مترجما عنده[60]، واستخدمه في استقبال السفراء وتدبير أمر إسكانهم والرد عليهم[61]. واستخدم آخرين في ربط الصلات ببعض الشخصيات الأوربية[62]، وكسفراء مكلفين بمهمات خاصة وسرية[63]،كما كان اعتماده كبيرا على مستشاره الخاص اليهودي "إبراهيم بن واش"[64]. مع العلم أنهم استفادوا في مقابل ذلك من«هبات ثمينة عالية القيمة»كانت سببا في ثرائهم[65]. ونتيجة الفوائد المتحصلة من يهود أوربا فقد بلغ أمر اهتمام المنصور ورعايته بهم إلى حد أنه كان يفتدي أسراهم إلى جانب المسلمين مقابل الأسرى المسيحيين أو فديات مالية عظيمة، حيث يذكر ابن القاضي أن المنصور «أخرج يهوديا من الأسر من جزيرة مالطا بمال»[66]. كما استدعاهم للإستقرار بالعاصمة مراكش وأنشأ لهم ملاحا بجوار قصره "البديع"، لتشكل المدينة بذلك ولقرون عديدة مركزا لإشعاع العلم اليهودي في مناطق سوس والأطلس ومدن الساحل الجنوبي للأطلسي[67]. واستفادوا أيضا من المتاجرة في أسرى وادي المخازن من النصارى[68]، وخول كذلك لطائفة من هؤلاء اليهود الإشراف على مصانع السكر وفق عقود الكراء[69]، بحيث احتكر بعضهم تصنيع وتسويق السكر مع عدد من الأجانب، إضافة إلى بضائع أخرى، وكانوا وكلاء للجمارك في المراسي، مما مكنهم من مراكمة أرباح طائلة امتلكوا من خلالها نفوذا اقتصاديا وسياسيا واسعا[70]. الشيء الذي أدى إلى الإضرار بمصالح التجار الأوربيين أنفسهم، على غرار "الشركة المغربية" التي أسسها عدد من التجار الانجليز واضطرت للإعلان عن إفلاسها سنة 1598م نتيجة المضاربة اليهودية[71].

ولم يكن ولي عهده محمد الشيخ المامون(ت1022هـ/1613م) بمنأى عن هذا السياق، حيث كان دائم الاختلاط بهذه الفئة من اليهود ومرافقتهم[72]، ومن بينهم أحد الموسيقيين الذي كان مقربا منه وخصه بهبات مهمة[73]. لكن بعضهم واجهوا هذا الأمير بالنفور بعد وفاة والده، مثل يهود تطوان–وجلهم من المهاجرين– الذين رفضوا ما قام به من تسليم العرائش للإسبان مخافة من تزايد نفوذهم في المغرب[74].

ومع ذلك، استمر الاعتماد على العنصر اليهودي الأوربي بعد وفاة المنصور، حيث برزت عائلة "پلاش"(Pallache) ذات الأصول الإيبيرية خاصة في بلاط زيدان بن المنصور(ت1037هـ/1627م)، مثل "صمويل پلاش" الذي بعث به في عدة سفارات إلى أمير "أورانج" ودوق "فلورنسا"[75]،كما قام بعدة مهمات لصالحه في هولندا، ومنها الحصول على سفينتين حربيتين مجهزتين[76]. وكذا "موسى پلاش" الذي كان كاتبا لنفس السلطان وشارك في عدد من المفاوضات الديبلوماسية بين المغرب وهولندا[77]، وكان يشرف كذلك إلى جانب "إسحاق پلاش" على صفقات السلاح وتصدير الشعير والتبن والخيول، بحيث أن هذه العائلة لعبت دورا كبيرا في المفاوضات وإبرام الصفقات مع الأوربيين وتدبيرها بشكل محنك وبارع رغم الصعوبات التي كانت تواكبها[78]، وقد ضمت هذه العائلة عددا مهما من العناصر الفاعلة ضمن البلاط السعدي وفي علاقات السلاطين المتأخرين مع هولندا خصوصا[79].

إضافة إلى آخرين مثل "يامين بن رمّوخ (Yamin Ben Remmokh)" الذي استخدمه الأمير زيدان في مفاوضاته مع الانجليز وإرساله للمتاجرة في أوربا، ولاسيما لبيع السكر[80]. حيث ركز زيدان على استخدام اليهود كوسطاء تجاريين وللحصول على السفن بهدف القرصنة[81]، حتى أثار كثرة اليهود المتصلين به حفيظة المشايخ كيحيى

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

الحاحي(ت1035هـ/1626م)[82]. كما تذكر المصادر كذلك استخدامه يهودا في استخلاص أعشار الجمارك مثل جمارك آسفي[83].

ونفس الأمر أيضا بالنسبة لأخيه أبي فارس(ت1018هـ/1609م) الذي استخدم أحد أفراد عائلة "پلاش" كترجمان ووسيط في شراء الأحجار الكريمة وفي مسائل السفارات[84]، وذلك رغم معارضة قائده عزوز[85]. وكذا محمد الشيخ المامون الذي استخدم "صمويل پلاش" إلى جانب يهودي آخر من مرافقيه يدعى "إيليتناتان (UletNatan)" في محادثاته مع إسبانيا حول تسليم العرائش[86]. ليظل حضور اليهود وأشهر عائلاتهم عائلة "پلاش" قائما في البلاط السعدي حتى أواخر أمرائهم بمراكش، حيث تذكر رسالة بعث بها محمد الشيخ الأصغر(1636-1654م) إلى هولندا أن اليهودي پلاش خلفا عن سلف يخدمون الأسرة السعدية الحاكمة[87].

كما أثر اليهود الأوربيون على جانب كبير من ثقافة وعادات اليهود المحليين وباقي المغاربة، حيث ظهر صراع بين اليهود المهاجرين الأوربيين(الروميين) واليهود المحليين(البلديين) حول مجموعة من الشعائر وطقوس الأكل والشراب وأحكام الأحوال الشخصية والضرائب وغيرها، سرعان ما انتهى لصالح الطائفة القادمة من إسبانيا والبرتغال التي فرضت ثقافتها الدينية وعاداتها الاجتماعية[88]، لاسيما وأنها أقامت مجموعة من البِيَع[89] والمدارس داخل الملاحات المستحدثة من لدن السلاطين السعديين[90]. مثلما نقلوا بعض العادات إلى المسلمين المغاربة كعادة شرب الخمر بسبب السماح لهم بولوج الحانات اليهودية[91]، وكذا دخول دور الدعارة التي تقام داخل الملاحات في فترات الفوضى[92]، وتشاركوا معهم في عادات أخرى أصبحت تقليدا متعارفا بينهم[93]. ولم يغب في المقابل التأثير المغربي عن هذه الطائفة من خلال اعتناق عدد منهم للإسلام مثل والدة العالم الصوفي الكبير رضوان الجنوي(ت991هـ/1583م) الذي كان أستاذا للمنصور الذهبي(1578-1603م) وله صيت واسع في البلاد[94]، إلى جانب أعداد مهمة من التجار اليهود الذي سموا بالإسلاميين[95].

2- الأسرى

لعبت هذه الفئة هي الأخرى دورا مهما في فتح قنوات التواصل وربط الصلات ما بين المغرب السعدي وأوربا الغربية، ولا سيما الأسرى الأوربيون الذين تزايدت أعدادهم خلال هذه الفترة بالمغرب، لكثرة ما كانوا يقعون في الأسر من بسطاء ونبلاء خلال الحروب السعدية مع البرتغاليين في المناطق التي كانت خاضعة لاحتلالهم[96]، إلى أن بلغ عددهم 3000 أسير في مراكش وحدها أواسط القرن 16م[97]، وارتفعت أرقامهم مع العدد الكبير من الأسرى الذي غنمه المخزن والمغاربة عموما عقب معركة وادي المخازن سنة 1578م، من جنود وأمراء ونبلاء بلغ عددهم حوالي 20000 أسير حسب المصادر الأجنبية نفسها[98]، كان من بينهم الآلاف من الأتباع والخدم والوصفاء الذين كانوا في خدمة النبلاء البرتغاليين[99]، «حتى ساقت الناس...النصارى والأسارى إلى كل أرض»[100]، وامتلأت بعض المدن مثل فاس بالخدم من هؤلاء الأسرى، ولم يعد العمال من المغاربة يجدون ما يشتغلون به، وأصبحت هذه المدينة أهم سوق في المغرب يباعون فيها بأرخص الأثمان، حيث اغتنت بما درته عليها عمليات بيع الأسرى والغنائم[101]. علاوة على أسرى عمليات الجهاد البحري التي كانت تحت قيادة

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

بعض الزعماء، أو من تدبير الموريسكيين خصوصا في أواخر الحكم السعدي[102]. وكان معظم الأسرى من النصارى يباعون في السوق الحرة، فيقدر ثمن الواحد منهم حسب مستواه ومؤهلاته، إلى أن تدهورت مسألة بيعهم بسبب بخس أثمانهم نتيجة كثرة القراصنة وعملياتهم خلال فترة الفوضى، فأصبحوا سلعة تخضع للمبادلة ووسيلة للحصول على السلاح[103].

وقد برزت مساهمتهم في مختلف المظاهر الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة البحث، حيث استخدم المغاربة خاصة من الأغنياء وذوي الحظوة من المخزن عبيدا أوربيين إلى جانب أخرين للخدمة داخل وخارج المنازل ولحراسة النساء[104]. إضافة إلى عملهم في مختلف المصانع والأشغال[105]، كما استخدموا لأغراض أخرى في إطار الهدية والصداق[106]، وكذا في الأعمال التجارية والحروب القبلية وغيرها[107].

ونظرا للمهارات التي تمتع الأسرى الأوربيين فقد سخرهم السلاطين السعديون للخدمة داخل قصورهم ودورهم، إذ جرت العادة أن تقوم إماء أوربيات إلى جانب السودانيات بخدمة السلطان في غرفته[108] تحت إشراف "قهرمانة الدار"[109]، بينما يخدمه خارجها غلمان مسيحيين إلى جانب مغاربة هجناء، كما خصص أسرى مسيحيين رفقة خصيان سود وخدم يهود لخدمة مقاصير النساء[110]. وأصبح الاعتماد كبيرا على الغلمان الأوربيين من الأسرى في خدمة القصر في عهد أحمد المنصور، حتى أضحى عددهم حوالي 2500 بقصر مراكش و300 بقصر فاس[111]، والذين دخلوا ضمن عبيد البلاط وألبسوا ثيابا خاصة[112]، حيث كانوا يعملون على راحة الأمراء وضيوفهم من خلال الاشتغال في المخازن والمغاسل والمطابخ الواقعة بالسراديب أسفل القصر[113]، مثلما هو الأمر في منازل رجال الدولة الذين توفروا على عدد مهم منهم، وكان لهم النصيب الأوفر من أسرى المعارك[114]. إلى جانب وجود العديد من الإناث من الأسيرات الأوربيات[115]، والتي اتخذ السلاطين منهن سراري وزوجات[116].

واستغل السلاطين السعديون خبرات الأسرى المسيحيين على وجه الخصوص للعمل في مصانع الأسلحة والذخائر والزليج[117]، وفي مصانع وطواحين السكر التي ساهموا في بنائها كذلك[118]، وفي نجارة الخشب[119]، وفي البناء مثلما استخدم أحمد المنصور جزءا منهم في بناء قصر البديع[120]، أو استخدموا في بناء الحصون العسكرية[121]، نظرا لوجود عدد مهم من العمال المهرة بين صفوفهم[122]. وتمتعوا كذلك بثقة بعض السلاطين –على غرار أحمد المنصور الذهبي– في الإشراف على الأموال حتى صارت لهم حظوة كبيرة عنده[123]، وكذا عند غيره من الأمراء السعديين، إلى درجة أنهم «لا يسمحون بالاقتراب منهم إلا أسراهم من أبناء النصارى»[124] من شدة الثقة بهم والاعتماد عليهم. وقد سعوا أيضا إلى الاستفادة من مهاراتهم العسكرية والحربية، حيث حاول بعض الأمراء السعديين استعمال هؤلاء الأسرى من النصارى في الجيش مقابل مكافآت، كزيدان بن أحمد الأعرج(ت960هـ/1553م)، لكن معارضة بعض الفقهاء جعلته يحجم عن تنفيذ مشروعه[125]، وحاول محمد الشيخ المهدي فعل نفس الشيء في مواجهة الأتراك مقابل العتق من الأسر، لكن الفقهاء تصدوا له وأصروا على الفدية المالية[126]. غير أن هذا الأمر أصبح متاحا في فترة الفوضى السياسية قبيل انهيار الدولة، إذ استعمل عبد الله بن الشيخ المامون(ت1033هـ/1623م) العشرات من الأسرى المسيحيين الإنجليز والهولنديين والفرنسيين، الذين أخذهم والده من العرائش وسلا، وجعلهم ضمن المدفعية، وانتصر بهم على عمه أبي فارس وأخرجه من مراكش سنة 1606م، وذلك

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

مقابل حريتهم[127]. ونظرا للمميزات الخاصة للأسيرات الأوربيات كذلك، فقد عمل السلاطين على استغلالهن في كسب ود وولاء ولاتهم ورجالهم عن طريق إهدائهم عددا منهن[128]، في حين استخدموهن هم أيضا في ربط علاقات مع ذوي النفوذ الشعبي من المتصوفة[129].

كما عمل الأسرى المسيحيين –وخصوصا من النبلاء– خلال إقامتهم بالمغرب على ربط صلات مع التجار المحليين عمقت من العلاقات التجارية المغربية الأوربية[130].

وكان للأسرى المسيحيين بصمة واضحة في ثقافة بعض الأمراء السعديين بحكم الاحتكاك الكبير معهم داخل القصور، مما شكل مثار قلق لدى السلاطين السعديين مخافة تأثير هؤلاء على أبنائهم، لاسيما من حيث المعتقد، فكان يحظر على الأمراء الاتصال بهم ويعاقبون على ذلك[131]، إذ أن هذا الاتصال لم يخل من بعض التأثيرات السلبية كشرب الخمر، رغم الجوانب الإيجابية التي تمثلت في إتقان بعض الأمراء للغات الأوربية، مثل عبد المومن بن الشيخ المهدي(ت988هـ/1580م) الذي أخذ عن العبيد المسيحيين اللغة الإسبانية قراءة وكتابة، كما أن عبد الملك المعتصم أتقن اللغات الإسبانية والإيطالية والفرنسية إلى جانب التركية، واقتبس عدة عادات من النصارى، حيث كان يتناول طعامه وهو جالس على مائدة وينام على سرير مرتفع[132]، ويوقع بالحروف اللاتينية[133].

ومن الجانب الآخر، فإن معظم هؤلاء الأسرى المسيحيين من الخدم في قصور السعديين قد تأثروا هم أيضا بشكل كبير بوسط العيش الجديد في المغرب، حيث لوحظت عليهم تحولات فارقة على صعيد العادات الاجتماعية والمعتقد أو الالتزام الديني على الأقل، لاسيما على عهد المنصور الذي خص الغلمان من أسرى وادي المخازن الذين كانوا في خدمته بمعاملة تفضيلية «ورتب لهم عددا وافرا من الامتيازات»[134] ومكنهم من كل أسباب العيش الرغيد[135]، من مرتبات وكسوة ممتازة وحرية التصرف في الأموال وامتلاكها نظير خدماتهم ومهاراتهم المتميزة، مما فتح أمامهم أبواب الثراء والفجور لكثرة الأموال التي أصبحت في ملكيتهم[136].

وعلى النقيض من ذلك، فقد كان لاستمرار الارتباط الروحي والعاطفي لعدد من هؤلاء الأسرى بالوطن في أوربا والديانة المسيحية تأثير سلبي على مقامهم بالمغرب وعلى علاقتهم الجيدة مع الأمراء السعديين، الشيء الذي أسهم في بعض الحوادث، مثل إقدام الأسرى المسيحيين على التمرد عن طريق افتعال حريق في مخازن البارود بمراكش سنة 1573م ألحق أضرارا كبيرة بقصبة المدينة وجامعها ودور الحي، وذلك تعاطفا منهم مع إسبانيا ضد ثورة الموريسكيين التي انطلقت في غرناطة سنة 1568م، حيث قام عبد الله الغالب بإعدام 300 أسير منهم، على الرغم من محاولة المصادر المسيحية دفع التهمة عنهم[137]. مما يدل على استمرار الارتباط الروحي لهؤلاء الأسرى بالمسيحية، رغم اعتناق بعضهم الإسلام إرضاء للسلطان وبحثا عن الامتيازات. وقد يدفع هذا الارتباط بعضهم لأن يتعدى حدوده فيكون جزاؤه الموت، كحالة الغلمان السبعة الذين أمر القاضي بشنقهم بتهمة المس بالذات الإلهية[138] والإصرار على المسيحية وفق ما ذكر "دي صالدانيا"[139]. كما سكتت المصادر المغربية عن مقتل ثالث أولاد المنصور وعامله على تادلا أبي الحسن علي سنة 1593م على يد أحد

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

الأسرى من نبلاء "ميورقة"[140].

كما أن المستعبدين المغاربة لدى الجانب الأوربي، ولاسيما لدى البرتغاليين الذين حصلوا على أعداد كبيرة منهم خلال حروب ومجاعات القرن 16م إلى درجة أصبح معها العبد المغربي لا يساوي في نظرهم شيئا[141]، استغلوا في الأعمال الشاقة وداخل المنازل[142]، وعانوا جميع صنوف القهر والاستغلال البدني والجنسي، وأُكرهوا على ترك الإسلام وتعرضوا لعقوبات قاسية في حال الرجوع إلى دينهم بعد تعميدهم كمسيحيين[143].

وقد كان في هذا الانتقال للعيش في الضفة الأوربية أو المغربية، أو العودة إلى الوطن بعد الحصول على الحرية سواء بالنسبة للأسرى المغاربة أو الأوربيين حركة تفاعلات مهمة. حيث كان عدد من الأسرى المغاربة يحصلون على حريتهم ويلتحقون بالمغرب بعد مدة طويلة من العبودية، إثر تصدق السيد بذلك قبيل وفاته أو أداء فدية مهمة[144]، حيث لعب بعض السلاطين السعديين دورا في افتداء عدد من هؤلاء الأسرى[145]، وبالإضافة إلى تدخل بعض العلماء والمتصوفة لتحرير بعضهم عبر جمع التبرعات[146]. كما فُتح المجال أمام الأسرى المسيحيين للانعتاق سواء في مقابل أسرى مغاربة[147]، أو مقابل فديات مالية عادت بثروات هامة على السلطان، خاصة عملية افتداء الآلاف من أسرى وادي المخازن من النبلاء وغيرهم في عهد المنصور الذي «قبض فيهم مالا عريضا»[148]. كما استفاد هؤلاء من العفو الذي كان يصدره السلاطين بعد تولي العرش على عدد من الأسرى[149].

3- الموريسكيون[150]

وفد معظم الموريسكيين من إسبانيا على المغرب خلال الفترة السعدية، حيث قدر تاجر ألماني أعدادهم بحوالي 80 ألف سنة 1560م[151]، وتزايدت هجراتهم بعد حملة الطرد الكامل التي تعرضوا لها من طرف ملك إسبانيا فيليب الثالث سنة 1609م، حيث وفد على البلاد حوالي 40 ألف موريسكي، في حين تقدر المصادر الموريسكية هذا التوافد بحوالي 60 ألف، إذ كان بمدينة تطوان وحدها سنة 1613م حوالي 10000 موريسكي[152]. غير أن العدد الإجمالي والقريب من الحقيقة للموريسكيين الذين وصلوا إلى المغرب يمكن أن يتراوح بالفعل ما بين 70 ألف و100 ألف كحد أقصى، والذين كانت لهم تأثيرات بالغة على المجتمع والاقتصاد المغربيين بفعل انتشاهم الواسع في جميع المدن والمناطق، وخاصة بتطوان وشفشاون ورباط سلا والعرائش والمعمورة وفاس ومراكش[153].

فقد حملوا معهم من الضفة الأوربية ألوانا من الثقافة الجديدة والنادرة كعلم القراءات[154]، والموسيقى مثل الطرب الغرناطي إلى جانب الزجل والموشحات الأندلسية[155]. وعلم الترجمة الذي عملوا من خلاله على نقل مجموعة من الكتب الإسبانية في مجالات الطب والصيدلة والفلك والفنون الحربية إلى اللغة العربية خدمة للهدف المعرفي ولتقوية صف المسلمين ضد العدو الإسباني وإعادة الاعتبار للغتهم الأم[156]، بل أقدموا على ترجمة الكتب الدينية مثل الثوراة والإنجيل[157]. حيث عملوا في هذا الإطار أيضا على التأليف في علوم العقيدة ووضع كتب في انتقاد وتفنيد الديانة المسيحية موجهة للإسبان

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

بلغتهم، وأثروا المكتبات المغربية بالمؤلفات والمخطوطات وأسسوا مكتبات خاصة[158]. بالإضافة إلى إعادة إحياء علوم الطب، وغيرها من العلوم التجريبية والبحتة، فعملوا على تطوير العلاجات وصنع الأدوية وتأليف الكتب في هذا التخصص[159]. وأبدعوا كذلك في فنون الزراعة والصنائع[160]، مشكلين بذلك العنصر الإيجابي الوحيد خلال مسار التراجع العام الذي بدأ يأخذه المغرب خلال هذه الفترة، فلم يحملوا معهم فقط تراثهم الثقافي الراقي، بل أيضا معرفتهم الصناعية والحرفية وعلمهم بالزراعة والسقي، وكذا زراعات حديثة وردت من العالم الجديد كالذرة والفول والطماطم والقرع والفلفل والصبار وغيرها[161]. إذ حسنوا إنتاج الخضر والفواكه وزراعة أشجار الزيتون ووضعوا مؤلفات تعنى بعلوم الفلاحة واختبروا ما يلائم طبيعة البلاد من الزراعات، وأدخلوا تقنيات جديدة للري من خلال تركيب النواعير على غرار ما قاموا به في فاس، وأقاموا مجموعة من القنوات على نهر تانسيفت بمراكش[162]. كما نبغوا في عدد من الحرف كالحدادة والنجارة والخرازة والحياكة وإنتاج الحرير عن طريق تربية دودة القز[163]، فبرزت إبداعاتهم الصناعية والحرفية من خلال تعدد أنواع الملابس والمنسوجات الفاخرة والمزركشة وتطوير صناعة الحرير والصوف ومختلف الحرف المعدنية التي تجلت في صناعة الآلات النحاسية والحديدية والمذهبة، بالإضافة إلى مختلف أشكال الزجاج وإدخال طرق جديدة لدبغ الجلود، وكذا نقل الفسيفساء والنقش على الخشب والجبس والحجر، وغيرها من الصناعات التي لم يكن لها وجود في المغرب قبل بروز نجم الموريسكيين خلال العصر السعدي[164]. بالإضافة إلى نقل تقنيات فن العمارة الموريسكي الذي كانت له مميزاته الخاصة من حيث الشرفات والسقوف ونافورات المياه داخل صحون المنازل والتركيز على الزخرفة واستخدام الصباغة والزركشة والزليج وغيرها من التقنيات الوافدة على العمارة المحلية أو المحسنة لها[165]. حيث تركت العمارة الموريسكية بصمتها واضحة في الشوارع المستقيمة والمنتظمة على شكل شبكة في مدن مثل تطوان ورباط سلا[166].

كما حملوا معهم عاداتهم الاجتماعية التي تميزوا بها في الجانب الأوربي من حيث نمط العيش الغريب على الوسط المغربي، والذي اتسم بمنح حرية أكبر للمرأة التي كانت أقل حشمة[167] ومسموحا لها بالاختلاط بالرجال، وكذا ضعف الالتزام الديني الذي تمظهر من خلال تعاطي الخمور والتدخين وتنظيم سهرات اللهو والطرب، والعمل بالاحتياط والتدبير في المعاش، مما جعلهم يبقون منغلقين على أنفسهم داخل المجتمع الموريسكي ولا يرتبطون بعلاقات الزواج إلا داخل هذا المجتمع، مع أن ذلك لم يمنع تأثر المغاربة ببعض هذه العادات كالاختلاط بين الجنسين في الأماكن العامة والتأنق في المأكل واللباس ولبس الأبيض في المآتم وفي المناسبات الدينية[168]، واستعمال "صندوق العروس" وملابس العرائس الفخمة[169]، وغيرها من أنماط الاحتفال وإحياء مختلف الطقوس والأعياد والمناسبات[170]، زيادة على اقتباس ألبسة معينة ذات أصلي موريسكي مثل السلهام والبلغة والبدعية وغيرها...[171]، وكذا بعض أشكال التسلية مثل ألعاب الورق[172]، وصنوف الطبخ والحلويات والوصفات الموريسكية التي أثرت المطبخ المغربي بشكل غير مسبوق، لاسيما من حيث حسن وكثرة توظيف التوابل[173].

وقد خلق هذا الاختلاف الكبير في السلوك والعادات بعض النفور لدى المغاربة الذين لم يتقبلوا العنصر الموريسكي في البداية بسبب تحرره[174]، لاسيما من قبل المجتمع الريفي التقليدي[175]، إذ أن الموريسكيين كانوا حسب تصورهم أقرب

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

من حيث المظهر والسلوك الاجتماعي للأوربيين المسيحيين[176]، إلى درجة أن البعض كانوا يكنون لهم كراهية كبيرة ويسمونهم بالنصارى[177]، أو نصارى قشتالة[178]، ودخلوا في حزازات وصراعات معهم في محطات متعددة[179]، دفعت بعض الموريسكيين في بعض الأحيان إلى التعبير عن سخطهم من هذا الوضع والتفكير بالعودة إلى إسبانيا والتعاون مع حكامها على غرار ما حاول القيام به موريكسيو جمهورية أبي رقراق(1614-1641م)[180]. لذلك كان الموريسكيون يفضلون التعامل مع اليهود المهاجرين والعلوج الأوربيين، إلى جانب الأغنياء والأعيان المغاربة الذين توافقت مصالحهم معهم[181]. لكن الاندماج سرعان ما سيصبح كاملا داخل المجتمع المغربي عبر الزمن[182].

كما تركوا بصمتهم في النظم الإدارية المغربية من خلال نقل نظام الحسبة الأندلسي[183] ، وكذا شكل التنظيمات الحرفية الأندلسية[184]. وأثروا أيضا في اللغة المحلية من خلال العامية والأمثال الأندلسيتين وإدخال مصطلحات إسبانية[185]. مثلما تأثروا هم كذلك باللهجة الأمازيغية التي تعلمها عدد كثير من الموريسكيين من أجل التواصل مع أمازيغ الريف والمدن، كما تمكن بعضهم من إتقان اللغة العربية الفصحى والعامية بفعل غلبة اللسان الإسباني عليهم، فيما ظلوا مستعملين للغة الإسبانية مع التجار والبحارة والأسرى الإسبان أو فيما بينهم[186]. كما أنهم ملؤوا الفراغ اللغوي فيما يخص بعض المهن وأسماء بعض الحيوانات والنباتات التي حملوها معهم[187].

أبانت الكفاءات التي تمتع بها عموم الموريسكيين –ومنها الكفاءة العسكرية الحربية والصناعية– عن حاجة السلاطين السعديين لخدماتهم، بحيث أهلهم هذا التميز للتجذر في الجهاز المخزني[188]، إذ كان للموريسكيين منذ البداية دور في توطيد دعائم الدولة السعدية في المغرب لاسيما وأن حكامها رفعوا شعار استرداد الأندلس[189]. مع أن تقارب السعديين مع الإسبان خوفا من التوسع العثماني كثيرا ما كان يتم على حساب قضايا الموريسكيين[190]. حيث سعى السعديون للاستفادة من الموريسكيين في خدمة مصالحهم الداخلية وإبعادهم ما أمكن عن مشروعهم الهادف للمواجهة مع الإسبان والانتقام منهم[191]، وبالتالي فشلت كل المحاولات الموريسكية بدعم عمليات كبرى أو واسعة ضد المصالح الإسبانية خلال مختلف مراحل الحكم السعدي[192].

فمع استقرار أمر السعديين عظمت مكانة الموريسكيين في المغرب وضمن مؤسسة المخزن، خاصة في عهد عبد الله الغالب الذي «ذاع فيه صيت أهل الأندلس الذين جاءوا من ممالك غرناطة وبلنسية ومرسية، وعددهم كثير، وقد جند...منهم الجند وجعل لهم رواتب ضخمة، وكانوا موضع الثقة منه في كل الملمات وازداد صيتهم انتشارا بعد أن خلف عبد الله ابنه الشريف محمد المتوكل»[193]، حتى أصبحوا يمثلون حوالي نصف الجيش السعدي[194]، ووصل بعضهم مبلغ القادة كالدغالي والكاهية[195]، حيث تألف منهم «جيش كثيف من النار بمراكش وأقطعتهم الدولة أراضي فسيحة بالجانب الغربي...فاغترسوا بها جنات معروشات وغير معروشات وحصلوا من استغلال ذلك...على ما أنساهم ذكر وطنهم واعتاضهم مما فاتهم به»[196]، وخصص لهم بمراكش حي سمي "أورخيا الجديدة" نسبة لمدينة أول من سكنها منهم[197]، واستخدموا كذلك في صناعة الأسلحة النارية[198]. وكان عبد الملك المعتصم أيضا «لا يثق بغيرهم» بعدما انضموا إلى صفه في صراعه ضد ابن أخيه المتوكل(1574-1576م)[199]، كما قاموا بدور فعال في معركة وادي المخازن[200].

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

واستمر الاعتماد عليهم في الجيش على عهد المنصور الذي أصبح فيه عسكر الأندلس من أهم فرق الجيش الكبرى على قدم المساواة مع جيش الموالي العلوج، فكانا يتبادلان التفاوت في العطاء[201]، كما شارك المورسكيون بكثرة في حملة فتح السودان برئاسة قائدهم "جودر باشا"، وأوكل المنصور أيضا إلى أحدهم وهو "الرايس إبراهيم الشط" بناء الأسطول الحربي في دار الصناعة برباط سلا[202]. إذ لم يكن هذا السلطان كذلك يثق إلا في الموريسكيين والعلوج، فكان يستخدمهم في قمع الثورات[203]. بل وكان يتم استخدامهم –بحكم إتقانهم للغة الإسبانية– للتجسس على الأسرى الأوربيين[204].

وزيادة على الجانب العسكري فقد استعملوا أيضا –بفعل مهاراتهم ومعارفهم المتقدمة وثقافتهم الواسعة– في مجال الترجمة والسفارة التي نافسوا فيها اليهود المهاجرين، حيث أسندت لعدد من الموريسكيين كأحمد بن قاسم الحجري ويوسف بسكيانو ومحمد بنيكاس مجموعة من السفارات المهمة إلى بعض الدول الأوربية لاسيما نحو هولندا، ومنها سفارة الحجري إلى باريس للاحتجاج على النهب الذي تعرض له الموريسكيون في فرنسا أثناء توجههم للمغرب سنة 1610م بعد عملية الطرد الإسباني[205]. فقد حظي عدد من المترجمين و العلماء من الموريسكيين بمكانة مميزة في بلاط السلاطين السعديين، كالعالم أحمد الحجري السالف الذكر الملقب بشهاب الدين(ت1050هـ/1640م) الذي كان موضع اهتمام وتقدير أحمد المنصور الذهبي وقام باحتضانه ورعايته، إلى جانب المترجمين الذين كان لهم دور أيضا في بلاط زيدان ابن المنصور[206] وبلاط أبنائه من بعده[207]. هذا الأخير الذي حرص على استقبال الموريسكيين واهتم بقضاياهم وحاول تصفية مشاكلهم[208]، لما كان لهم من دور إيجابي في الوسطين السياسي والاقتصادي السعديين . بل حتى أنه اتخذ زوجة موريسكية أنجب منها ابنه الوليد الذي أصبح سلطانا على مملكة مراكش خلال الفترة ما بين 1630-1636م[209]. كما أن الأمراء السعديين اتخذوا منهم أطباء خاصين وأغدقوا عليهم الأموال والمكافآت التي أعانتهم على تطوير معارفهم وإنتاجاتهم[210]، ومنهم رئيس أطباء السلطان علي إبراهيم الأندلسي الذي وضع كتابا سنة 1630م تناول فيه فوائد الفواكه والأعشاب الطبية وطب العيون والتربية الجنسية...[211].

وقد ساهم الموريسكيون كذلك في تحولات وأحداث سياسية مهمة في مسار المخزن السعدي، مثلما خذلوا محمد المتوكل وانضموا لعمه عبد الملك المعتصم في خضم المواجهة بينهما، بدعوى كراهيتهم له ولوالده بسبب خيانة هذا الأخير لهم في إتفاق الثورة على نصارى إسبانيا سنة 1568م[212]، وذلك رغم أنه قام بدعم بعض عمليات المستقرين منهم في المغرب ضد إسبانيا[213]. كما حدثت للمخزن السعدي صدامات مع الموريسكيين مثل حادث قتل محمد الشيخ المهدي موريسكيي غرناطة بخميس مطغرة قرب فاس في محاولاته السيطرة على المدينة سنة 1544م[214]. كما اتهم أهم قادة جيش الأندلس المكون من الموريسكيين كسعيد بن فرج الدغالي وابن أخيه محمد ومحمد زرقون الكاهية وأبو الفضل الغرى من طرف أحمد المنصور بالتآمر مع أتراك الجزائر لضم المغرب للإمبراطورية العثمانية، فدبر أمر قتلهم[215]، بحيث لا يعدو كذلك إرساله جيش الأندلس في الحملة الأولى الفاشلة على السودان سنة 992هـ/1584م وإشراكه بشكل كبير فيها، أن يكون بهدف التخلص منه ومن قواده لما أبرزوه من نوايا خفية في إطار علاقتهم بالأتراك من خلال عدة محطات، وخاصة بعد معركة وادي المخازن وإبان ثورة ابن أخيه داوود بن عبد المومن[216].

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

وكان لهم دور أيضا في التأثير على مجريات الأحداث في غرب المتوسط والعلاقات ما بين المغرب وأوربا خلال هذه الفترة، خاصة وأن عددا كبيرا من الموريسكيين كانوا من فئة المجاهدين الذين طمحوا للانتقام من الإسبان[217]، حيث أصبحت عمليات الجهاد من اختصاص الموريسكيين كتعويض انتقامي عما أصابهم من إهانة وظلم ومعاناة بتلك البلاد[218]، خاصة وأنهم قد راكموا تجارب مهمة في مواجهة الإسبانيين[219]. وهذا ما أهلهم للعب دور سياسي متزايد ومستقل عن الدولة المركزية في بعض الأحيان لاسيما في فترة الضعف، مثل آل النقسيس بنواحي سبتة الذين كانوا يحملون لقب مقدمين– أي مقدمي الجهاد–[220]، ودافعوا عن المناطق التي تقع على مقربة من مركز نفوذهم بجهة تطوان التي خضعت لسلطتهم مدة طويلة منذ أواخر الحكم السعدي إلى حدود سنة 1673م[221]، والذين ارتبطوا بعلاقات دبلوماسية وتجارية مع أوربا[222]، زيادة على جمهورية أبي رقراق بالرباط وسلا(1614-1641م) التي استطاع الموريسكيون من خلالها التأسيس لعلاقات مستقلة مع الأوربيين والتفاوض معهم من أجل تحقيق مصالحهم بعيدا عن الدولة السعدية[223]، حيث راكموا ثروات ضخمة من خلال عمليات الجهاد البحري وافتداء الأسرى والمبادلات التجارية مع عدد من الدول الأوربية وعلى رأسها هولندا وفرنسا وانجلترا، كما تمكنوا عبر هذه العلاقة من الحصول على السلاح وكذا السفن التي كانوا يصنعون بعضها بمساعدة البحارة الهولنديين[224].

خاتمة:

لقد شكل اليهود المهاجرون والأسرى والموريسكيون أبرز العناصر الفاعلة في تنشيط المبادلات والعلاقات المغربية خلال الفترة السعدية مع الضفة المتوسطية الأوربية على كل الأصعدة، رغم أنهم مثلوا في بعض الأحيان ملفات خلاف بين الجانبين. حيث أعطى هؤلاء نفسا وزخما جديدين للاقتصاد والمجتمع المغربيين بعدما اكتسحت الأزمة كل أركان البلاد، وساهموا في المزيد من الانفتاح على أوربا الغربية وثقافتها. غير أن عدم توفر الظروف والمحيط الملائمين للاستفادة الكاملة من خبرات هذه الفئات وعدم توظيفها بالطريقة الأمثل حرم المغرب من الفرصة التي هيأها هؤلاء من أجل التطور والسير على خطى أوربا نحو الحداثة والتقدم. مما كرس النظم والبنيات التقليدية عقب انهيار قوة الدولة السعدية بفعل سياسة سلاطينها، وعلى رأسهم أحمد المنصور الذي ربط قوة الدولة ونهضة اقتصادها بشخصه بدل فتح المجال أمام التحولات الشاملة والحرة التي جاءت بوادرها من الجانب الأوربي بواسطة هذه العناصر المجددة، والتي سخرها لخدمة ملكه ولم يمنحها هامشا أكبر للفعل.

ولا تزال إلى يومنا هذا عناصر أخرى مهاجرة تقوم بنفس الدور في تحقيق التفاعل ما بين الضفتين، إلا أن هذا التفاعل يجب أن يأخذ منحى إيجابيا، بدل أن يكون غير ذي جدوى أو ذو ارتدادات سلبية.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

الهوامش:

[1]- محمد مزين، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549-1637م، ج 2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1986، ص. 555.

[2]- محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج 1، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة، الرباط، 1977، ص. 267.

[3]- Bernard ROSENBERGER, « Les juifs au Maroc dans la première moitié du XVIème siècle », In: Hespéris-Tamuda, Vol. XXXXII, Fasc. I, 1999, p. 116.

[4]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 267.

[5]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984، ص. 156.

[6]- أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة (مطلع القرن 17/ مطلع القرن 20م): دراسة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية من خلال الوثائق المحلية، آفاق متوسطية، الدار البيضاء، 1994، ص. 45.

[7]- حاييم زعفراني، ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، ترجمة أحمد شحلان وعبد الغني أبو العزم، الدار البيضاء، 1987، ص. 43-46.

[8]- محمد الباكوري، اليهود والمخزن في عهد الدولة السعدية، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الجامعية 2004-2005، (مرقونة)، ص. 51.

[9]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 267–268.

[10]- محمد مزين، فاس وباديتها، ج 2، ص. 555.

[11]- Bernard ROSENBERGER, « Les juifs au Maroc », op.cit, p. 118,121.

[12]- دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، 1988، ص. 57.

[13]- نفسه، ص. 167.

[14]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 156.

[15]- نفسه، ص. 29،30.

[16]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 1، ترجمة محمد حجي ومحمد زنيبر ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1984، ص. 473.

[17]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور سلطان المغرب، تقديم وترجمة وتحقيق إبراهيم بوطالب وعثمان المنصوري ولطفي بوشنتوف، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 2011، ص. 140.

[18]- نفسه، ص. 136،196.

[19]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 55.

[20]- نفسه، ص. 156.

[21]- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1987، ص. 34. محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 142.

[22]- من قبيل هذا: تحامل عدد من الفقهاء خلال هذه الفترة على اليهود من الذين رأوا برأي محمد بنعبد الكريم المغيلي-ت909هـ/1504م- الذي أفتى بانتقاض ذمتهم واستحلال أموالهم، ودمائهم بحجة تعلق الخاصة من اليهود بالسلاطين وتجاوزهم لحال الصغار المشروط في أداء الجزية(محمد بن عسكر، دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرآن القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص. 130) وسيطرتهم على الاقتصاد واستخفافهم بالأحكام الشرعية واحتقارهم لفقراء المسلمين(محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، م.س، ص. 268)، كأبي القاسم بن خجو بالريف وعبدالله بن علي بنطاهر الحسني -ت1044هـ/1634م- في تافيلالت(نفسه، ص. 270). وكذا نفور بعض المتصوفة تجاههم مثل شقرون الفخار-ت1028هـ/1619م- (محمد الصغير الإفراني، صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، 2004، ص. 122)، وتضايق التجار المسلمين منهم(إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، م.س، ص. 34). إلى جانب كراهية عامة المغاربة في بعض المناطق لهم(دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، م.س، ص. 57/مارمول كربخال، إفريقيا، م.س، ج 2، ص. 156/ Robert RICARD,

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

« Le Maroc à La fin de XVIe siècle d'après la Jornada de Mendoça », In: Hespéris, Tome XLIV, 3e et 4e Trimestres, 1957, p. 186-187.).

[23] – محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 52.

[24]- Mercedes GARCIA-ARENAL et Gerard WIEGERS, « Au-dessus des frontières: Samuel PALLACHE », In: Hespéris-Tamuda, Vol. XXXVII, Fasc. I, 1999, p. 99.

[25]- Bernard ROSENBERGER, « Les juifs au Maroc », op.cit, p. 129.

[26]– إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية – العهد السعدي، المتقي برينتر، المحمدية، 2000، ص. 59.

[27]- Mercedes GARCIA-ARENAL et Gerard WIEGERS, « Au-dessus des frontières», op.cit, p. 99.

[28]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 117.

[29] -Robert RICARD, « Le Maroc à La fin de XVI siècle », op.cit, p. 192-193.

[30]– محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 52.

[31]- Bernard ROSENBERGER, « Les juifs au Maroc », op.cit, p. 127.

[32]- Ibid, p. 147.

[33]- Ernest MERCIER, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), Tome III, Ernest LEROUX Éditeur, Paris, 1868, p. 65.

[34]– دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 139.

[35]– محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 52.

[36]– نفسه، ص. 142.

[37]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 1، ص. 473.

[38]– محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 270.

[39]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 55.

[40]– نفسه، ص. 157.

[41]– نفسه، ص. 55.

[42]– نفسه، ص. 156.

[43]– نفسه، ص. 29.

[44]– نفسه، ص. 172.

[45]– عبد القادر العافية، الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية بشفشاون وأحوازها خلال القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1982، ص. 216.

[46]- Chantal DE LA VERONNE, Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ère série - Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèques d'Espagne, Tome III, Paul Geuthner, Paris, 1961, p. 11.

[47]– مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، دار تينمل للطباعة والنشر، مراكش، 1994، ص. 35-36. دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 226.

[48]– شوقي أبو خليل، وادي المخازن: معركة الملوك الثلاثة-القصر الكبير، دار الفكر، دمشق، 1993، ص. 92-93-94.

[49]– نفسه، ص. 97-98.

[50]– عبد العزيز شهبر، «طائفة يهود تطوان خلال القرنين 16 و17م»، ضمن: أعمال ندوة تطوان خلال القرنين 16 و17م، تنسيق امحمد بن عبود، مجموعة البحث في التاريخ المغربي والأندلسي، تطوان، 1996، ص. 211-212.

[51]– حيث أُطلق هذا الإسم على هذه الذكرى استحضارا لعيد "بوريم" الذي يحتفل به اليهود في 14 مارس كل سنة شكرا لله على الخلاص من مكائد الفراعنة للقضاء عليهم، واستمدت الكلمة من المصطلح العبري "فوريم" جمع "فور"، وهي القرعة التي استقسم بها "هامان" لإبادة اليهود، أحمد إيبش، التلمود كتاب اليهود المقدس، دار قتيبة، دمشق، 2006، ص.393.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[52]- Bernard ROSENBERGER, « Les juifs au Maroc », op.cit p. 129./ أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي إلى سنة إخلاء آسفي وأزمور(قبل 28 غشت 1481م-أكتوبر 1541م)، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء، 1984، ص. 470-471

[53]- Mercedes GARCIA-ARENAL et Gerard WIEGERS, « Au-dessus des frontières», op.cit, p. 106.

[54]- أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، ص.471.

[55]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 76.

[56]- Bernard ROSENBERGER, « Yahya U Tafuft(1506-1518) des ambitions déçues», In: Hespéris-Tamuda, Vol. XXXI, Fasc. I, 1993, p. 32.

[57]- أحمد بوشرب، دكالة والاستعمار البرتغالي، ص. 470.

[58]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 271.

[59]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 50.

[60]- نفسه، ص. 140.

[61]- محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 144.

[62]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 196.

[63]- نفسه، ص. 136.

[64]- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، 1977، ص. 292.

[65]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 196.

[66]- أحمد بن القاضي، المنتقى المقصور على مآثر الخليفة المنصور، ج 1، دراسة وتحقيق محمد مرزوق، مكتبة المعارف، الرباط، 1986، ص. 346.

[67]- حاييم الزعفراني، ألف سنة من تاريخ اليهود، ص. 11.

[68]- مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص. 64.

[69]- عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، دراسة وتحقيق عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية والثقافة، الرباط، 1972، ص. 210.

[70]- إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية، ص. 59.

[71]- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعديين، ص. 292.

[72]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 271.

[73]-Henry DE CASTRIES, Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ère série - Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèque d'Angleterre, Tome II, Paul Geuthner, Paris, 1925, p. 333.

[74]- عبد العزيز شهبر، «طائفة يهود تطوان خلال القرنين 16 و17م»، ص. 210.

[75]- محمد الباكوري، اليهود والمخزن، ص. 146.

[76]-Henry DE CASTRIES, Les sources Inédites, 1ère série, Archives d'Angleterre, Tome II, op.cit, p. 477.

[77] -Jacques CAILLE, «Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas à l'époque des sultans saadiens», In: Hespéris-Tamuda, Vol. IV, Fasc. 1-2, 1963, p. 9.

[78]-Henry DE CASTRIES, Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ère série - Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Tome III, Ernest Leroux, Paris, 1912, p. 528.

[79] -Jacques CAILLE, «Ambassades et missions marocaines aux Pays-Bas», op.cit, p. 8.

[80] -Henry DE CASTRIES, Les Sources Inédites, 1ère série, Archives d'Angleterre, Tome II, op.cit, p. 490.

[81]- إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع، ص. 106.

[82]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 271.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[83]- مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص. 93.

[84]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 289-290.

[85]- نفسه، ص 291.

[86]- Mercedes GARCIA-ARENAL et Gerard WIEGERS, « Au-dessus des frontières», op.cit, p. 103.

[87]- إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية، ص. 60.

[88]- حاييم الزعفراني، ألف سنة من تاريخ اليهود، ص. 123-124.

[89]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 55.

[90]- عبد العزيز شهير، «طائفة يهود تطوان خلال القرنين 16 و17م»، ص. 208.

[91]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 266. حاييم الزعفراني، يهود المغرب والأندلس، ج 2، ترجمة أحمد شحلان، مرسم، الرباط، 2000، ص. 370.

[92]- محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 238.

[93]- محمد بوزيان بنعلي، فجيج في عهد السعديين السياسة والثقافة والمجتمع، سلسلة تراث فجيج 4، مطبعة الجسور، وجدة، 2005، ص. 59.

[94]- Daniel RIVET, Histoire du Maroc, Editions Fayard, Paris, 2012, p. 202.

[95]- دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 146.

[96]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 37،82.

[97]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978، ص. 414.

[98]- Chantal DE LA VERONNE, Les Sources Inédites, 1ère série, Archives d'Espagne, Tome III, op.cit, p. 476.

[99]- شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ص.108.

[100]- مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص. 64.

[101]- شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ص.100.

[102]- عبد اللطيف الشادلي، الحركة العياشية: حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1982، ص.175،151.

[103]- نفسه، ص.174-175.

[104]- دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 61.

[105]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص.29-30، 155، 169.

[106]- محمد العربي الفاسي، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن، تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار إبن حزم، بيروت، 2008، ص. 145.

[107]- أحمد البوزيدي، التاريخ الاجتماعي لدرعة، ص. 86.

[108]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 172.

[109]- محمد الصغير الإفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تحقيق وتقديم عبد اللطيف الشاذلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1998، ص. 278.

[110]- مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 172.

[111]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 40،44.

[112]- محمد العربي الخطابي، «أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني»، مجلة المناهل، العدد 13، 1978، ص. 73.

[113]- عبد الهادي التازي، قصر البديع بمراكش من عجائب الدنيا، منشورات وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، الرباط، 1977، ص. 7.

[114]- شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ص.100.

[115]- أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 76.

[116]- نفسه، نفس الصفحة. شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ص.103-104.

[117]- دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص.147. أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.73. مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 52.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[118]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 29-30.

[119]– نفسه، ص. 155.

[120]- Daniel RIVET, Histoire du Maroc, op.cit, p. 198.

[121]– روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ج 1، ص.121.

[122]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 157.

[123]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 91-92.

[124]– نفسه، ص. 146.

[125]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 1، ص. 464.

[126]– دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص.200-201.

[127]- Henry DE CASTRIES, Les Sources Inédites de l'histoire du Maroc, 1ère série - Dynastie Saadienne, Archives et bibliothèques des Pays-Bas, Tome I, Ernest Leroux, Paris, 1906, p. 210.

[128]– دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص.157.

[129]– محمد العربي الفاسي، المرآة، ص. 103.

[130] -Robert RICARD, « Le Maroc à La fin de XVI siècle », op.cit, p. 192-193.

[131]– محمد العربي الخطابي، «أمير سعدي في خدمة البلاط الإسباني»، ص. 73.

[132]– نفسه، ص.74-75.

[133]– نفسه، ص. 83.

[134]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 40.

[135]– نفسه، ص. 74.

[136]– نفسه، ص. 90.

[137]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 51. دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 231.

[138]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.93.

[139]– نفسه، ص. 94.

[140]– نفسه، ص. 146-147.

[141]– محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991، ص. 12-13.

[142]- Daniel RIVET, Histoire du Maroc, op.cit, p.197-198.

[143]– محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ص. 12-13-14.

[144]– نفسه، ص. 14.

[145]– أحمد بن القاضي، المنتقى، ج 1، ص. 346.

[146]– محمد العربي الفاسي، المرآة، ص.149.

[147]– دييكو دي طوريس، تاريخ الشرفاء، ص. 117.

[148]– مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص.65.

[149]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص. 221.

[150]– الموريسكيون أو "العرب الأصاغر" هو الإسم أو اللقب الذي نبز به المسلمين الذي ظلوا بالأندلس بعد سقوط غرناطة، محمد حجي، «الموريسكيون والجهاد البحري في المغرب الكبير»، ضمن:الموريسكيون في المغرب، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، شفشاون، سلسلة الندوات: الندوة الثانية، 2000، ص. 59.

[151]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمان، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2005، ص. 174-175.

[152]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب خلال القرنين 16 و17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1989، ص. 50.

[153]– نفسه، ص. 176.

[154]– محمد حجي، الحركة الفكرية، ج 1، ص. 66.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[155]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 240-241.

[156]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 278.

[157]– نفسه، ص. 280-281.

[158]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 198.

[159]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 274.

[160]– عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص. 279 – 280.

[161]- Driss BEN ALI, Le Maroc Précapitaliste Formation Economique et Sociale, Société Marocaine des Editeurs Réunis, Rabat, 1983, p. 120.

[162]– محمد رزوق،الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 266.

[163]– عبد اللطيف الشادلي، الحركة العياشية، ص.150.

[164]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 266-267.

[165]– نفسه، ص. 298.

[166]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 239-240.

[167]– أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، مركز الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، وجدة، 2010، ص. 146.

[168]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 291.

[169]– نفسه، ص. 267. ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 239.

[170]– أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 161-171.

[171]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 293-294.

[172]– أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 176-177.

[173]– نفسه، ص. 129.

[174]– نفسه، ص. 158.

[175]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 171.

[176]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.155. ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 226. أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 112. / Andrej DZIUBINSKI, «L'armée et la flotte de guerre marocaines à l'époque des sultans de la dynastie saadienne», In: Hespéris-Tamuda, Vol. XIII, Fasc. I, 1972, p. 84.

[177]– تحضرنا هنا حادثة انضمام عرب فاس خاصة من "شراكة" إلى ثورة الناصر بن عبد الغالب(1595-1596م) الذي سعوا لتنصيبه ملكا نكاية في الموريسكيين الذين كانوا يدعونهم إلى جانب العلوج بالنصارى بسبب مظاهرهم وعاداتهم المشابهة للأوربيين، أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.155.

[178]– أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 112.

[179]– نفسه، ص. 106.

[180]– عبد المجيد القدوري، «الموريسكيون في المغرب اندماج أم انعزال؟»، ضمن:الموريسكيون في المغرب، ص. 87.

[181]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 171-172.

[182]– نفسه، ص. 231.

[183]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 291.

[184]– نفسه، ص. 266-267.

[185]– نفسه، ص. 285-288،286. ومن قبيل هذه المصطلحات الإسبانية التي أدخلها الموريسكيون إلى العامية المغربية نجد: (بلوزة=لباس=Blusa) و(كبوط=معطف=Capote)..، أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 122.

[186]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 229.

[187]– نفسه، ص. 231.

[188]– عبد المجيد القدوري، «الموريسكيون في المغرب اندماج أم انعزال؟»، ص. 89.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[189]– عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ص. 279.

[190]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 180.

[191]– الحسين بوزينب، «البعد المغربي في السياسية الإسبانية منذ عهد أحمد المنصور»، ضمن:الموريسكيون في المغرب، ص. 43.

[192]– نفسه، ص. 45،46،49.

[193]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.29.

[194]– إذ شكل الموريسكيون 14 ألف جندي من بين 30 ألف جندي الذين تكون منهم الجيش السعدي خلال عهد عبد الله الغالب، محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 167.

[195]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.29.

[196]– عبد العزيز الفشتالي، المناهل، ص. 42.

[197]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 57.

[198]– نفسه، ص. 154.

[199]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.27.

[200]– محمد حجي، «الموريسكيون والجهاد البحري»، ص. 65.

[201]– محمد الصغير الإفراني، النزهة، ص.193.

[202]– محمد حجي، «الموريسكيون والجهاد البحري»، ص. 65.

[203]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.156.

[204]- Robert RICARD, « Le Maroc à La fin de XVI siècle », op.cit, p. 201.

[205]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 269.

[206]– عبد الجليل التميمي، «تأثيرات الموريسكيين الأندلسيين في المجتمع المغاربي»، ضمن: كتاب العربي، رقم 65:حوار المشارقة والمغاربة، ج 1، الكويت، 2006، ص. 57 – 58.

[207]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 193.

[208]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 50.

[209]- Chantal DE LA VERONNE, Histoire Sommaire des Sa'Diens au Maroc : La première dynastie Chérifienne 1511- 1659, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1997, p.87.

[210]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 274.

[211]– ميكيل دي إيبالثا، الموريسكيون في إسبانيا وفي المنفى، ص. 198.

[212]– مؤرخ مجهول، تاريخ الدولة السعدية، ص.47.

[213]– أنطونيو دي صالدانيا، أخبار أحمد المنصور، ص.29.

[214]– مارمول كربخال، إفريقيا، ج 2، ص. 142.

[215]– عبد العزيز الفشتالي، المناهل، ص. 41.

[216]– محمد رزوق، مسألة الأندلس في عملية فتح السودان خلال عصر أحمد المنصور الذهبي، ضمن: المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء في بدايات العصر الحديث، تنسيق فاطمة الحراق، معهد الدراسات الإفريقية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 2، 1995، ص. 24-25.

[217]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 131.

[218]– إدريس أبو إدريس، الثابت والمتغير في بنية الدولة المغربية، ص. 50.

[219]– محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم للمغرب، ص. 164.

[220]– محمد بن عزوز حكيم، «أولاد النقسيس الأسرة الأندلسية التي حكمت تطاون حوالي قرن»، ضمن: الموريسكيون في المغرب، ص. 101.

[221]– نفسه. ص. 96.

[222]– إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، ص. 328.

[223]– أحمد الكامون وهشام السقلي، التأثير الموريسكي في المغرب، ص. 110.

تاريخ الإرسال: 2022/03/15 / تاريخ القبول: 2022/06/07 تاريخ النشر: 2021/10/02

[224]– إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2، ص. 324، 329-330.